

**أهمية توظيف الدراسات القرآنية في مواجهة الفكر المادي  
دراسة في كتاب "الصراع بين الإيمان والمادية، تأملات في سورة  
الكهف" لأبي الحسن الندوي**

**The importance of employing Quranic studies in facing  
materialistic thought. A study in "The Conflict between Faith and  
Materialism" by Abu Al-Hassan Al-Nadawi**

نورالدين ضيافي      أ.د/ فؤاد بن عبيد

كلية العلوم الإسلامية - جامعة باتنة 1

مخبر العلوم الإسلامية في الجزائر

[fouadbenabid@yahoo.com](mailto:fouadbenabid@yahoo.com)      [diafnour@yahoo.com](mailto:diafnour@yahoo.com)

تاريخ الإرسال: 2020/07/22م      تاريخ القبول: 2020/08/11

**الملخص:**

يتمحور هذا المقال حول أهمية توظيف الدراسات القرآنية في معالجة مشاكل وأزمات الأمة الإسلامية؛ سيما أزمة الفكر المادي الذي اكتسح اهتماماتها اليوم. ولأجل ذلك، اخترنا نموذجاً من دراسات أبي الحسن الندوي نتناول ذاك التوظيف القرآني من خلال كتابه "الصراع بين الإيمان والمادية - تأملات في سورة الكهف-".

وإجمالاً، أكد البحث على أن الفكر المادي قد هيمن على الحياة الغربية وأصبح وثناً يعبد، عليه تأسست الحياة، وبه انتظمت المجتمعات، وعلى أساسه حددت الحقوق والواجبات مع تهميش تام للجانب الغيبي الذي يؤمن القيم ويقوم الإيمان، حتى اكتسح هذا الفكر الأمة الإسلامية ليصير أزمة تقف عقبة في طريق تحقيق نهضتها الحضارية. وقد عدّ الندوي أن الإيمان بالآخرة وحضور الغيب في حياة الإنسان هو الحل الأمثل لهذه الأزمة، وذلك من خلال تأملاته في سورة الكهف، التي أبرز فيها أهمية التوجه إلى القرآن الكريم تدبراً وتأملاً وتوظيفاً للخروج بجملته المخلصات من الأزمات التي تعترى الحياة من حين لآخر.

الكلمات المفتاحية: الدراسات القرآنية؛ الأزمة؛ الفكر المادي؛ الندوي؛ الإيمان.

**Abstract:**

Solving the problems and crises of the Islamic Ummah; And mainly the crisis of material thought, and our choice in this was a model of the works of Abi Al-Hassan Al-Nadawi, "The Conflict between Faith and Materialism - Reflections on Surat Al-Kahf".

In sum, the research concluded that material thought dominated Western life and became an idol that is worshiped and upon it establishes life and organizes societies with the marginalization of the unseen side, and finally it became a crisis that stands in the face of the Islamic nation to achieve its civilization renaissance. All these results were the fruit of the seminar's reflections on Surat Al-Kahf, and a highlight of the importance of heading to the Qur'an in contemplation and contemplation to come out with a set of sincerities from the problems that beset life from time to time.

**Key words:** Quranic studies; the crisis; Material thought; Faith; Al-Nadawi.

**مقدمة**

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله الأطهار وأصحابه الأخيار ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

تعيش الأمة الإسلامية الكثير من الأزمات الداخلية والخارجية منذ أمد طويل، ويبقى الخروج من أي أزمة مرهونا بمدى سعي الفكر الإسلامي لإيجاد مخرج وحلول لهذه الأزمات، والوصول إلى الحل الأمثل المتمثل في العودة إلى استنطاق النصوص القرآنية التي لا تنفك تحمل الإرشادات والتوجيهات والهدايات في تصريحاتها وتلميحاتها. كما تقوم بمعالجة اعوجاج النفس الإنسانية وتقويم الفكر الإنساني وسداده لتفتح له آفاقا جديدة يهتدي من خلالها إلى تحقيق السعادة البشرية.

ولبيان أثر ومصداقية القول المتداول بصلاحية القرآن لكل زمان ومكان - حتى لا يبقى مجرد قول وادعاء - وجب تحقيق ذلك عن طريق تدبر معاني

## أهمية توظيف الدراسات القرآنية في مواجهة الفكر المادي

القرآن الكريم وآياته البينات ومحاولة تنزيلها على الواقع المعيش والخروج بحلول قرآنية لجملة الأزمات التي تعترض الحياة المتجددة والمتطورة.

ومن دون هذا السبيل يبقى القرآن رهين مزاحمات أقوال المفسرين وآرائهم واجتهاداتهم التي مارسوها في ملاسبات زمانهم وفي الظروف التي عايشوها، كما تبقى نظرية "صلاحية القرآن لكل زمان ومكان" محض كلام لا أثر له في واقع الأمة الإسلامية.

وتحقيقاً لهذه الحاجة الماسة فقد سعت بعض الكتابات في مجال الدراسات القرآنية للنهوض بواقع الأمة الإسلامية عن طريق العودة إلى القرآن الكريم المشحون بالكم الهائل من الطول لمشاكل النفس الإنسانية. وقد أسهمت في إنجاح هذه الخطوة الدراسات المصطلحية والموضوعية التي سعت إلى قرأنة المفاهيم والخروج بنظرية مفاهيمية في الكثير من المصطلحات والموضوعات وللفصل في الاختلافات والآراء والاجتهادات.

ويعتد أبو الحسن الندوي من بين شخصيات الفكر الإسلامي البارزة، وواحداً ممن تركوا أثراً بارزاً في مدّ هذه الخطوة في حياة الأمة الإسلامية، وممن سعوا بجهدهم لإعطاء القرآن الكريم القدر الأوفر في توظيفه وتفعيله لمعالجة أزمات الأمة الإسلامية ومشاكلها المتجددة تحقيقاً لنهضتها وشهودها الحضاري.

وانطلاقاً مما تقدّم تتجلى لنا إشكالية تتعلق بالجدل القائم لدى الإنسان بين الغيب والطبيعة أو بين المادة والإيمان، ومدى أهمية الاستفادة من القرآن الكريم ونجاعته في معالجة الفكر المادي من خلال توظيف الدراسات القرآنية التي منها إسهام الندوي في مواجهة أزمة الفكر المادي.

كما تنبثق عن هذه الإشكالية جملة من التساؤلات أهمها:

ما أهمية توظيف الدراسات القرآنية في حل أزمات الأمة الإسلامية؟ وما الجديد الذي قدمه الندوي من خلال تأملاته في سورة الكهف؟ وما البديل الذي خلص إليه كحل أساس لمواجهة الفكر المادي؟

ومعالجة للإشكالية وإجابة عن التساؤلات، تضمن المقال أربعة محاور؛ الأول في نبذة عن شخصية أبي الحسن الندوي. والثاني حول أهمية توظيف الدراسات القرآنية في حل مشاكل الأمة الإسلامية. والثالث حول دراسة كتاب

"الصراع بين الإيمان والمادية". بينما يتعرض المحور الرابع إلى مشكلة الفكر المادي في الحياة الإسلامية؛ أسبابها ومظاهرها وحلولها.

### المحور الأول: نبذة عن شخصية أبي الحسن الندوي

يعد أبو الحسن الندوي من أبرز الشخصيات الإسلامية التي ظهرت على الساحة الفكرية والعلمية والتي ذاع صيتها في العالم الإسلامي لما تميزت به من كثرة اللقاءات والرحلات والمؤلفات وتنوعها وعمقها وإيمانيتها وواقعيتها في معالجة مشاكل الأمة وأزماتها. وبغرض التعرض إلى شخصيته بشكل مختصر نتناول بعض جوانب حياته ومؤلفاته فيما يلي:

#### أولاً: اسمه مولده ونسبه

هو أبو الحسن علي بن عبد الحي بن فخر الدين الحسني. ولد في 6 محرم الحرام عام 1333هـ الموافق عام 1914م بقرية (تكية) بمدينة (راي بريلي) التي تبعد عن (لكهنؤ) ثمانين كيلومترا في بلاد الهند.

ينتهي نسب هذه الأسرة إلى محمد ذي النفس الزكية بن عبد الله المحض (الكامل) بن الحسن (المتنبي)، بن الإمام الحسن السبط الأكبر بن أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، لذلك اشتهرت الأسرة بالحسنية<sup>(1)</sup>.

و(الندوي) كنية لانتمائه إلى ندوة العلماء وكثيرا ما تطلق هذه الكنية على خريجي ندوة العلماء، لتمييز مكانتها وشهرتها في بلاد الهند.

#### ثانياً: أسرته

نشأ الندوي في أسرة عريقة النسب والأصل عرفت بتوراث العلم أبا عن جد، وقد تحدث الندوي بالتفصيل عن أسرته وما تميزت به من خصائص في كتابه "في مسيرة الحياة" وذكر جملة رجالاتها ومآثرهم العلمية وخصائصهم النفسية والخلقية، ابتداء بجده فخر الدين عبد العلي الحسني (ت1326هـ)، ثم والده عبد الحي بن فخر الدين الحسني (ت1341هـ)<sup>(2)</sup> صاحب المصنفات الكثيرة التي تزيد عن خمسة عشر مؤلفاً<sup>(3)</sup>.

ثم أمه السيدة خير النساء بنت ضياء النبي الحسني (ت1388هـ) التي نسب إليها الفضل الكبير في تكوين شخصيته الخلقية والعلمية<sup>(4)</sup>، وقد كانت شاعرة

أهمية توظيف الدراسات القرآنية في مواجهة الفكر المادي

وكاتبة ونشرت لها عدة كتب في الشعر والمدح، كما لها كتب في تعليم النساء والأولاد في الأمور الاجتماعية<sup>(5)</sup>.

أما سنده ورفيق دربه فقد كان أخوه الأكبر عبد العلي الحسني (ت1380هـ)، الذي عني بتربيته والقيام على شؤونه، ليلي الدور أخته الكبرى السيدة أمة العزيز لها كتاب (السيرة النبوية) ورسائل أخرى<sup>(6)</sup>.

أما أخته الثانية السيدة أمة الله عائشة مؤلفة كتاب "زاد سفر" وترجمة "رياض الصالحين" بالأردنية، و(قصص الأنبياء للأطفال) وكتاب السيرة للأطفال<sup>(7)</sup> وكتاب (موج تسنيم). ولها قصائد في الدعاء والمناجاة إلى الله. وكانت رئيسة تحرير مجلة (رضوان) وهي مجلة السيدات المسلمات بالأردنية في الهند. وتوفيت سنة 1396هـ رحمها الله<sup>(8)</sup>.

وأما زوجته فهي ابنة خالة السيد أحمد سعيد الحسني وحفيدة السيد ضياء النبي الحسني وابنة بنت السيد عبد الرزاق الكلامي مؤلف كتاب (صمصام الإسلام) وترجمة (فتوح الشام) للواقدي، سيدة سالحة شاركت زوجها حياته في السراء والضراء وخدمته بكل إخلاص ومحبة<sup>(9)</sup>.

#### ثالثاً: وفاته

كانت وفاته يوم الجمعة 23 رمضان 1420هـ- الموافق 31 ديسمبر 1999م، في قرية تكية بالهند، عن عمر ناهز ست وثمانين سنة.

#### رابعاً: مؤلفات الندوي

اشتهر الندوي بكثرة مؤلفاته العلمية والفكرية فكان منها:

- في مسيرة الحياة ثلاثة أجزاء.
- مقدمات أبي الحسن الندوي ثلاث أجزاء.
- رجال الفكر والدعوة أربعة مجلدين.
- محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة ثلاث أجزاء.
- مقالات إسلامية في الفكر والدعوة جزئين.
- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين.
- الصراع بين الإيمان والمادية، تأملات في سورة الكهف.
- الأركان الأربعة في ضوء الكتاب والسنة.

- الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية.
  - النبوة والأنبياء في ضوء القرآن.
  - التربية الإسلامية الحرة.
  - العقيدة والعبادة والسلوك.
  - المد والجزر في تاريخ الإسلام.
  - إلى الإسلام من جديد.
  - صورتان متضادتان بين أهل السنة والشيعة الإمامية.
  - شخصيات وكتب.
  - مذكرات سائح في الشرق العربي.
  - كارثة التعصب اللغوي والثقافي.
  - ربانية لا رهبانية.
  - المسلمون وقضية فلسطين.
  - المرتضى: سيرة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه.
- امتاز الندوي بكثرة مؤلفاته وتنوعها وانتشارها في الأقطار الإسلامية والعربية حاملا فيها الكثير من تأملاته وانطباعاته شخصا الأدواء وواصفا الأدواء في طياتها.
- المحور الثاني: أهمية توظيف الدراسات القرآنية في حل مشاكل الأمة الإسلامية عند الندوي**
- للقرآن الكريم أهمية بالغة في حل مشاكل الأمة الإسلامية ويهدبها للتي هي أقوم، وعلى هذا نجد الندوي قد أولاه المنزلة الأولى في الأولوية والأهمية في توصيفه لحلول الأزمات والمشاكل.
- أولا: أهمية القرآن الكريم في حياة الأمة الإسلامية**
- يحمل القرآن الكريم في مضمونه سبل الهداية والرشاد فهو دستور للأمة في شتى جوانبها، وإن كان لا ينطوي على التفاصيل الدقيقة لكل مشكلة فإنه يحوي على المفاتيح العامة التي تستمد منها الحلول والإرشادات.
- 1 - القرآن الكريم منهج نحو الكمال:** يرى الندوي أن القرآن الكريم «يعطي تلك الكليات والتصورات الأساسية التي يمكن أن يقوم عليها أي مجتمع

أفضل في أي دور من أدوار التاريخ، وينظم الحياة الإنسانية في كل بقعة من بقاع الأرض من جديد»<sup>(10)</sup>، وبهذا يكون الدين الإسلامي بهذه الصحيفة المعجزة المحفوظة «زأخر بالحياة والقوة والجدة متكفل بجميع السعادات الدنيوية والأخروية، يبلغ الإنسان بالعمل به-في جدّ وعزم وإخلاص- إلى درجات القرب والسموّ والكمال ليس فوقها إلاّ النبوة»<sup>(11)</sup>.

وعليه فالقرآن الكريم يتضمن في طياته كل أسباب سعادة البشرية.

## 2 - توجيهات الندوي في سبيل تدبر القرآن الكريم: يقدم الندوي لدارس

القرآن توجيهات كانت ثمرة تجربته مع القرآن؛ إذ يدعو إلى ضرورة الاشتغال بالقرآن - قدر المستطاع- مباشرة بدون وساطة؛ عليه ان يتلو متنه أكثر ما يمكن، ويستمتع بقراءته، ويتذوق ويتدبر في معانيه..، ويحاول تلاوة القرآن الكريم، وفهمه وتدبره وتذوقه من دون اعتماد وتعويل على تفسير إنساني، ومراجعة كثيرة لكتب التفسير، ويكتفى بذلك إلى مدة ما من الزمن..، كما ينصح بتجنب البحوث التفصيلية الخاضعة للاتجاهات العصرية - عدا مواضع الحاجة إلى البحث العلمي أو إزالة شبهة-، أو العصبية الجماعية، السياسية أو القيادية، أو التفكير الناشئ من دراسة العلوم الحديثة أو الحضارة الغربية، لأنه تطغى أحياناً على ينبوع القرآن النقي الصافي، ظلال العقول والعلوم الإنسانية والأغراض الجماعية أو القيادية..، فهذا من جانب، ومن جانب آخر يرى الندوي أن التأثير الزائد بتفهم إنسان ألمعي فاضل وبتفسيره أكثر من التأثير بالكلام الإلهي ذاته يكون حاجزاً عن الوقوف على الجمال الحقيقي للقرآن وإعجازه، لأن ذلك التأثير كوّن له منظار إنساني لا يستطيع أن يرى من دونه<sup>(12)</sup>.

ومن هنا يركز الندوي على استحضر القدرات والمواهب في الغوص في أعماق القرآن الكريم والبحث في أسرارها ولا نغيب ذواتنا وما نملك أمام الجهود التفسيرية ونبقى أمام ساحل القرآن مكتفين بالنقول فنكرس التقليد ونحرم هداياته ونوره الكاشف.

### ثانيا: أهمية توظيف خصائص القرآن في الحياة الإسلامية

يقدم الندوي من الأوصاف والخصائص التي يتضمنها القرآن الكريم. ويعدها الحلول المثلى لمشاكل النفس الإنسانية وأزماتها الحياتية.

أ- مصدره الرباني: وذلك ما يضمن عصمته من كل نقص واختلال، أو شك والتباس، أو ظن وتخمين، أو تدرج وتطور، أو تعارض واختلاف، وكل ما فيه قطعي يقيني، مرئي منظور، ملتنم جازم حاسم، فليس في علم الله تدرج ولا تطور.

وخلال جملة الأوصاف التي تحدث بها القرآن عن نفسه تتبين الأهمية البالغة التي يعطيها للأمة، فوصفه بـ: "النور" و"البصائر" و"الهدى" و"البينة" و"الموعظة" و"الشفاء" و"الذكر المبارك".

- وهو علم الله وصفة علمه كصفاته الأخرى كلها أزلية أبدية: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الحديد: 3).  
- شامل محيط واسع: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (طه: 98).

- منزه عن كل النقص فلا يعتريه الخطأ ولا يعترضه النسيان: ﴿قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ (طه: 52)، ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (سبأ: 3).

ب- محكم مفصل: فهو واضح كل الوضوح، محكم كل الأحكام، مبين كل البيان، في أصول الدين وكلياته وأسس ومبادئه، وفي جميع الأمور التي تمس إليها حاجة الإنسان في فلاح دنياه وسعادته فيها وفي نجاته وسعادته في الآخرة، لا يحتمل القرآن في ذلك إبهاما ولا غموضا، ولم يدع فيه تفصيلا ولا تفسيراً إلا أودعه فيه.

ج- الفرقان: أي فارق بين الحق والباطل والخير والشر والنور والظلام، وهي سمته المميزة التي أصبحت علامة عليه، بل علما يطلق عليه ويعرف به ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان: 1).



د- مصدر الكتب الإلهية السابقة ومهيمن عليها: ومضمون ذلك أمور

ثلاثة:

أ- أن أصول الدين ووكلياته الأساسية قدر مشترك بين جميع الكتب السماوية والديانات السماوية.

ب- أن الصحف السماوية السابقة على القرآن المهيمن، كانت مؤقتة بزمن محدود، وبقيت إلى زمن محدود، فلم تكن فيها صحيفة دائمة البقاء، ولا مستمرة الحفظ والصيانة.

ج- أن القرآن الكريم كتاب الله الأخير، وهو الصحيفة الأبدية، الشاملة لأصول الدين كلها، ولن تزال محفوظة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (المائدة: 48).

إن القرآن يفتح للحياة الإنسانية -بجميع شعبها وميادينها- تلك السبل المستقيمة المستوية الواضحة، التي تخلو من كل المطبات والنوءات والمزالق والأخطار، ولا تعبير عن هذه السبل أفضل وأجمع من سبل السلام. والتعبير القرآني المحكم البليغ يذكر "النور" دائما مفردا واحدا، ويذكر "الظلمات" جمعا وتكثيرا، لأنه متى فقد الإنسان نور الوحي- الذي لا يتعدد أصله- تعددت عليه الظلمات وتنوعت وتداعت من كل صوب وحذب حتى لا يحصى لها عددا، ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة: 16).

فكل هذه الخصائص المعجزة وغيرها - مما تضمنه القرآن- كفيلة بأن تقود الإنسانية إلى حل مشاكلها في ضوئها.

**ثالثا: أهمية توظيف السنن التاريخية ضمن القرآن الكريم في الحياة الإسلامية**

يوقفنا الندوي على أهمية جدّ بالغة فيما يقدمه القرآن للأمة، والتي تتجلى في السنن والقوانين الثابتة المتعلقة بالإنسان وأعماله، وبجملة الأدواء والأمراض البشرية التي تعد سببا وجيها في انحطاط الأمم والمجتمعات، في حين لا نجد أن كتب التاريخ تركّز عليها، وقد تتخذها هامشا في متونها<sup>(13)</sup>.

وقد تناول القرآن الكريم «تلك الأمم والشعوب ويختارها للعرض والقصص التي لا تنقطع أوضاعها وأعمالها، ولا تنتهي صورها وأخلاقها، بل تتكرر على مدار التاريخ، كما أنه ما تعرض لتلك الجرائم والذنوب التي لا تكون إلا نادرة، شاذة، يخترعها الإنسان فترة من الفترات بذكائه وحكته الإجرامية، إنه تعرض لجرائم تتكرر في الشعوب والأفراد، وذنوب تشيع بين الناس»<sup>(14)</sup>.

فصور الناس قد اشتمل عليها القرآن إما تصريحاً أو إيماء، أو تلويحاً بقصص الماضين وسيرهم الغابرة، أو مباشرة وقصدا لأعيانهم<sup>(15)</sup>. والقرآن يعرض أشكال وصور الأمم والمجتمعات، فلذا يؤكد الندوي على أن «ما قاله القرآن هو الحق ويمكن أن يرى في مرآة الشعوب المعاصرة، وبعض المجتمعات الموجودة، ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأنبياء: 10)، يعني فيه الحديث عنكم، فيه تصويركم»<sup>(16)</sup>.

ولهذا يرى الندوي أن نقرأ القرآن، ونستعرضه، ونستنفره، ونستوضحه، ونستوحي منه واقع الحياة، ونبحث عن مكاننا في هذه المجموعة من صور المجتمعات البشرية والنماذج الإنسانية، والقرآن مرآة وضيئة نرى فيها وجهنا فنمسح ما فيه من غبار ومن تراب ومن وصمات ونعرف مواضع هذه الوصمات فنغسلها<sup>(17)</sup>.

وحصيلة ما يراه الندوي في القرآن من أهمية وقيمة في حياة الأمة الإسلامية أنه «كتاب حيّ غضّ دائم النضارة والبقاء، لا تبلى جدته، ولا يؤثر عليه الماضي والحال، والقديم والجديد، إنه فوق التطوّرات وفوق الأحداث، وإنه ليخاطب كلّ فترة من فترات التاريخ، وكلّ مدينة من مدنات الأرض، وإن دعوته حية طرية ورسالته غضّة نضرة، إنه صورة البشر الناطقة، ومرآة الفطرة الإنسانية الوضيئة الصافية، ولقد قال عنه منزله بحق»<sup>(18)</sup>.

ويعدّه «دستورا مدنيا وخلقيا يضمن أفضل النتائج الخلقية والاجتماعية، وقد حققها فعلا ومارسها ممارسة تطبيقية، كما أنها تحل بطريقته المعجزة ولمحاته المنيرة، وإشاراته اللطيفة جميع قضايا الاجتماع وعقده ومشاكله التي

أهمية توظيف الدراسات القرآنية في مواجهة الفكر المادي

تعرضت لها الإنسانية أو يمكن أن تتعرض لها في المستقبل إلى أن تقوم الساعة»<sup>(19)</sup>.

وعلى ما سبق تتبين أهمية العطاءات التي يفضيها القرآن الكريم على الأمة الإسلامية كسبيل لتجاوز العقبات وتحل في ضوئه مشاكلها وأزماتها.  
المحور الثالث: دراسة في كتاب "الصراع بين الإيمان والمادية - تأملات في سورة الكهف"

بدأت تجربة الندوي مع سورة الكهف منذ الصغر، إذ كانت أمه رحمها الله- تحرص عليه بمواظبة قراءتها كل يوم جمعة، فترسخت في نفسه بذور معانيها حتى أثمرت دراسة حولها تمثلت في كتابه "الصراع بين الإيمان والمادية - تأملات في سورة الكهف".

كان هذا الكتاب عبارة عن سلسلة مقالات للندوي نشرتها مجلة "المسلمون"، ووردت بعنوان: "تأملات في سورة الكهف" سنة 1377هـ- 1978م، أما الباعث الذي أدى بالندوي لجمع هذه المقالات في كتاب واحد - مع التنقيح والتحرير والزيادة فيها من ضم مواد جديدة وبحوثا مقارنة في قصتي أصحاب الكهف وذي القرنين- الحوادث التي جدت على مسرح العالمين العربي والإسلامي، والتي تجلت في التحولات التي طرأت على النفوس بسبب افتتانها بالمادية، وسرعة انقيادها لكل دعواتها التي برعت في التدجيل والتليبس<sup>(20)</sup>.

أما السبب الوجيه الذي قاد الندوي سعيا في التنقيب عن جملة المعاني والإرشادات التي تحملها السورة وصلتها بفتن العهد الأخير وفتنة الدجال، فهو تخصيص الأحاديث النبوية<sup>(21)</sup>، لهذه السورة دون غيرها بفتنة الدجال والعصمة منها، وعلى هذا يقول الندوي: «وتساءلت: هل في هذه السورة من المعاني والحقائق والتنبيهات والزواجر، ما يعصم من هذه الفتنة التي استعاذ منها النبي ﷺ كثيرا..، ولماذا خص رسول الله ﷺ هذه السورة من بين سور القرآن؟..، ورأيت نفسي تنوق إلى معرفة سرّ هذا التخصيص، والصلة المعنوية بينها وبين هذه العصمة»<sup>(22)</sup>.

### أولاً: موضوع سورة الكهف في نظر الندوي

يرى الندوي أن القصص الأربعة في سورة الكهف، مهما تنوعت أساليبها وموضوعاتها فإنها في الإجمال ترتبط فيما بينها برابط وثيق لا تخرج عن ريقته ولا تنفك عنه ، وتشكل حلقة مترابطة وتلتف حول محور أساس. ويرى أن القصص تنصب في نظرتين مختلفتين في الكون، أو منهجين مختلفين في النظر والفكر في الأسباب والمسببات<sup>(23)</sup>.

**1- النظرة المادية:** وهو الصنف الذي اقتصر نظره على العالم المادي المحسوس، وخضع لكل الأسباب ومسبباتها، ورأى أن المسببات والنتائج تابعة دائمة لأسبابها وعللها، مرافقة لها لازمة، ولا شك أن هذه القضية من النظام السائد في الكون إذ تعد الأسباب والمسببات من السنن الجارية في الكون، فليس هذا من قبيل الإشكال الذي يعترض الحياة أو يكون عائقاً في سير الحياة.

أما طرح الندوي لهذا الأمر ليس من وجه الاعتراض على هذه السنن الجارية وعلى النظام السائد، بل نجده يُشكّل في انحصار الوجود بهذه النظرة؛ نظرة الإنسان إلى هذه الأسباب والمسببات وإلى هذه السنن الفاعلة في حيز هذا الكون، بحيث لم تتجاوز هذه العالم المحسوس وبقيت متوقفة عندها. وقد جرّ هذا المنهج في النظر والفكر بالإنسان إلى إنكار ما سوى ذلك مما يئط به عالم الغيب من قوى متصرفة وإرادة فاعلة في هذه السنن المسؤولة عن وجود ذلك التلازم بين الأسباب ومسبباتها، وعن إمكانية تغير قانون السنن الكونية وفقاً للإرادة المطلقة والحكمة الإلهية البالغة، كما تستغني عليه بالكلية متى شاءت.

كان من نتائج هذا النظرة المادية المحضة للكون وما فيه؛ أن أصبح الإنسان عبداً للأسباب، كافراً بالقوة الفاعلة المطلقة في هذه الأسباب التي تسيطر على العالم، غير مهتد إلى وجود حياة أخرى تدعونا إلى أن نصرف إليها الجهود ونبذل في طلبها المساعي، مسخراً كل وجوده وما يملك من مواهب في تذليل القوة الكونية، وتسخير مادياتها، مبالغاً بذلك في تمجيدها، وأصبح يكفر بكل ما سواها، حتى بات المنهج المادي إليها للأرض، يعبد من دون إله الأرض والسماء. لذلك يرى الندوي أن أصحاب هذا المنهج بعد أن تمكنوا من غايتهم في إخضاع أسباب المادة لإرادتهم وما تمليه حاجاتهم،

اعتقدوا ألوهيتهم، أو أعلنوا ربوبيتهم - بلسان المقال أو بلسان الحال - وذلك ما تجلى في استعباد بني جنسهم، فعاثوا فسادا في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، واستباحوها تلبية لأغراضهم وشهواتهم، فبنوا بذلك الظلم أسرهم وأحزابهم وأوطانهم وأممهم.

**2- النظرة الإيمانية:** وهي التي تؤمن بالقوة الغيبية التي تملك زمام هذه الأسباب الكونية وخواص الأشياء، فكما أن الأسباب سبب للمسببات فالإرادة الإلهية القاهرة ذاتها سبب لهذه الأسباب، موجهة لها مسيرة لها، فهي سبب الأسباب وعلّة العلة، فخالق الكون لم يفلت زمام الخلق من يده حيناً، ولم تتحرر أسبابه من رقبته وحكمه، وهو الذي ربط الأشياء بالخواص، والمسببات بالأسباب، والمقدمات بالنتائج لحكمة بالغة، وهو الذي يربط ويفكّ، ويثبت ويمحو، وهو موجد الأشياء من عدم ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس: 82).

كما تؤمن كذلك بأن هناك أسباب أخرى مؤثرة تعمل في هذا الكون، وفي مصير الأفراد والجماعات مثل الأسباب الطبيعية أو اشد، وتتبعها نتائج قد تكون أعظم وأضخم من النتائج الطبيعية المادية، فكانت هذه الأسباب من قبيل المعنويات في جوهرها، كالإيمان والعمل الصالح، والأخلاق الفاضلة، وطاعة الله، والعدل، والعبادة، والرحمة، والمحبة وغيرها. كما توجد أسباب معاكسة لها مضادة لها كالكفر والبغي، والفساد في الأرض، والظلم والشهوات، والآثام وغيرها كذلك.

فمتى تمسك الإنسان بالأولى، دون تعطيل للأسباب الطبيعية، ودون فناء فيها، صالحه الكون وطابت له الحياة، ومن تمسك بعكسها واعتقد النفع والضرر الكاملين في الأسباب الطبيعية المحضة وأسس حياته على ذلك، حارب الكون وخانت القوى التي أخضعها وثارَت عليه الطبيعة.

ويؤكد الندوي على أن سورة الكهف هي السورة الفريدة التي حوت أكبر مادة وأغزرها فيما يتصل بفتن العهد الأخير التي يتزعمها الدجال، كما تحمل التوجيهات والإرشادات، والأمثال والحكايات ما يبيّن شخصية الدجال ويشخصه في كل زمان ومكان، وما يوضح أيضا الأساس الذي تقوم عليه فتنته

ودعوته، وتهيء العقول والنفوس لمحاربة هذه الفتنة ومواجهتها ومقاومتها، كما تحمل روحا تعارض التدجيل وزعماءه، ومنهج تفكيرهم، وخطه حياتهم في وضوح وقوة<sup>(24)</sup>.

وانطلاقا من النتائج التي خلص إليها الندوي من ثمرة تأملاتها فقد اعتبر أن موضوع السورة خاضع لفكرة واحدة وهو ما أثر أن يدرجه في الثنائية "بين الإيمان والمادية" أو "بين القوة المصرفة لهذا الكون (وهو الله)، وبين الطبيعة أو الأسباب"، كما عدّ أن جميع الإرشادات أو الحكايات، أو المواعظ والأمثال تدور حول هذه الفكرة وتشير إليها سواء تلميحا أو تصريحاً<sup>(25)</sup>.

#### ثانياً: قصص سورة الكهف الأربعة

غلب على السورة أسلوب القصص، فوردت أربع قصص؛ أولها قصة أصحاب الكهف تليها قصة صاحب الجنتين، ثم قصة موسى مع العبد الصالح، وأخيراً قصة ذي القرنين. ويجد المتأمل في القصص تنوعاً في طبيعة موضوعها التي عالجت، واختلافاً في الأسلوب، لكنها تتحد في جوهرها الفكري التربوي التزكوي؛ فقد تناولت هذه القصص فتناً أربعة، فتنة السلطان، وفتنة المال، وفتنة العلم، وفتنة الأسباب المادية. ويمكن أن ندرج كل موضوعاتها تحت تصحيح القيم عن طريق تقويم منهج النظر والتفكير ولا يمكن تحقيق هذا التقويم إلا عن طريق ميزان الإيمان والاعتقاد الذي افتتحت به السورة واختتمت به<sup>(26)</sup>.

أ- أصحاب الكهف نموذج للثورة على الأوضاع الفاسدة: كان سبب نزول هذه القصة أن قريشاً بعثت بوفد من أحبار اليهود بالمدينة بأسئلة يختبرون بها صدق رسول الله ﷺ ودعواه في الاتصال بالوحي، فكان أصحاب الكهف من بين أسئلتهم، فأجابهم النبي عن كل أسئلتهم بإفحام<sup>(27)</sup>.

والندوي بدوره لا يؤكد على أهمية سبب نزول هذه القصة، ولم يعتبرها السبب الرئيس والوحيد لاختيار القرآن لهذه القصة، فقد اعتبر أن «التأمل في مقاصد الإصلاح والتعليم التي جاء لتحقيقها القرآن، والبيئات التي بعث فيها الرسول ﷺ، ونزل فيها القرآن، وفي الطبيعة البشرية التي لا تختلف اختلافاً كثيراً، والأزمان والبيئات التي تتوالى وتتجدد، والحوادث التي تتعاقب وتتكرر،

## أهمية توظيف الدراسات القرآنية في مواجهة الفكر المادي

وفي الأجيال البشرية التي سيخاطبها القرآن، وتقودها النبوة المحمدية على اختلاف الأعصار والأمصار، كان في كل ذلك دواع أقوى وأحق بالاستجابة، وأسباب أظهر وأجدر بالاهتمام من سؤال طائفة أو امتحان جماعة، ومن قصة يرويها بعض الرواة في سبب نزول آية أو سورة»<sup>(28)</sup>.

ولا نعتقد أن الندوي لا يعي فائدة أسباب النزول التي تفيدنا في توضيح المعنى الذي لزم الآية وبيانه، إلا أنه من الخطأ الذي نرتكبه من غير شعور حصر معنى الآية في تلك الحادثة وكأنه لا يتعدى غيره ليكون ممددا مرنا غضا طريا يشتمل على تلك الحادثة وعلى غيرها عبر تعاقب الأزمان، فيتبادر عند سماع الآية تلك الحادثة وتلك الملابس، فيحجب علينا هذا الخطأ استحضار معاني القرآن وتنزيله على واقعنا وما يعترضنا من مشاكل وأزمات وحلها في ضوئه والتفتيح عن مفاتيح لها في جدته التي لا تبلى.

**ب- تكرار القصة وتشابه أحداثها في جزيرة العرب:** أجاد الندوي حينما أخرج القصة من طوق حدود أسباب النزول وحصرها في أحداث ماضية إلى أن تكون تذكيرا لأهل الحق القلة المستضعفة التي آثرت إتباع طريق النبوة رغم ما ستلاقيه من الخروج على طبيعة المجتمع وعقائده، وما يثبت به الفؤاد في سبيل إثارة طريق الحق عن الباطل، ويقص عليهم قصص الفرج واليسر بعد الشدة والعسر، والعزة بعد الذل، ونزول النصر الإلهية المخالفة للعادة لموازين المادة والأسباب والسنن التي عهد الناس عليها، ما تبين أن نصرته الله لا تأتي بمجرد توفر الأسباب المادية بل إن الإيمان والتضحية في لزوم سبيل الحق أبلغ من كل أسباب القوة والسلاح، ومن الكثرة الكاثرة<sup>(29)</sup>.

**ج- أصحاب الكهف من الزمن الغابر إلى الحاضر إلى المستقبل:** من منطلق التاريخ يعيد نفسه، اقتضى أن تمر هذه الأمة بما مرت به الأمم السابقة في العهود الكثيرة والمختلفة؛ من قوة وضعف، ونصر وهزيمة وموافقة ومعارضة. فلا ضير أن تتكرر ملامح قصة أصحاب الكهف في جوهرها ومبادئها ومضمونها وأهدافها، وإن اختلفت المشاهد التفصيلية والوسائل الزمكانية. فكثيرا ما تتعرض جماعات في استقامتها على العقيدة وفي سبيل دعوتها إلى الاضطهاد الفظيع، والتعذيب والتنكيل، والعزل والاستهزاء، والنفي

والتشريد؛ وإن لم يشابه المشهد أصحاب الكهف في حكومتهم الكافرة فإنه يكون في ظل حكومات تتسمى بالإسلام، لكنها تعتبر الدعوة الإسلامية والعقيدة الصحيحة أكثر خطراً على كياناتهم وأعظم ضرراً من الدعوات الجاهلية والخرافات الوثنية، والأفكار الهدامة، والفلسفات الملحدة. فتعود قصة الكهف في أرض الإسلام من جديد ويبدأ الصراع بين القلة المؤمنة المستضعفة، والكثرة الظالمة المستكبرة.

وقد صور القرآن ذلك في أبلغ أسلوب قال تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِبَصَرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (الأنفال: 26)، فقد تشابهوا في محنة واحدة ومصير مشترك. واشترك بيت الأرقم بن الأرقم بكهف الفتية في إيواء الطرداء المضطهدين الصابرين.

وما ينبغي أن ننبه عليه أنه مهما تشابهت المحن والأحداث وتكررت، فإن منهج مواجهتها لا يمكن أن يتكرر بعينه، لذا نقف عند تأملنا لتشابه قصة أصحاب الكهف في شبه جزيرة العرب فإن اتخاذ الفرار والعزلة ليست بالمنهج الأقوم لمواجهة هذه الفتن والمحن، ولهذا ما يرفض الندوي جملة وتفصيلاً الخنوع للظلم والفرار في مواجهته. وقد تجلّى موقفه هذا من لمسات تجديدية في الإصلاح والنهضة في شخصية جلال الدين الرومي في قوله: «إن تعطل الصالحين مهد لسيادة الفساق والظالمين»<sup>(30)</sup>. وبذلك يكون ممن يؤثرون الوقوف في وجه الباطل ومقارعة الفساد بكل قوة وصبر وبصيرة.

كما يمكننا أن نحمل الكهف على وجه الرمزية؛ فكل الحلول المثلى التي تحفظ من الافتتان في الدين وتحفظ الإيمان وتضمن النصر وتكون حصناً لبقاء الأمة الإسلامية على المنهج القويم السليم، كانت كهفاً معنوياً يصون الدين من التحريف والأمة الإسلامية من الانزلاق والضلال.

د- أصحاب الكهف رمز للقوة الشائرة على الأوضاع الفاسدة: يعتبر الندوي أن مصدر الثورة في الخارج إنما هي امتداد للانقلاب الحادث داخل النفس الذي حدث حينما صادفت العقيدة الصافية القلوب الخاشعة والضمان الحية، وهذا ما مثله فتية الكهف في معارضة الحكومة الوثنية، والمجتمع



الخاضع لها، وقد كان الواقع السائد يغريهم، أو ربما يضطرهم إلى الخضوع لهذه الحكومة الجائرة المستبدة ولهذا المجتمع الذي رضي بكل ما تمليه أهواء هذه الحكومة الوثنية المنحرفة، ضمانا للمستقبل والمال والشرف والسمعة والمتعة والجاه والوظيفة، ومسايرة لها وخضوعا لكل ما في المجتمع من انحرافات، وهم الفتية بطموحاتهم ورجباتهم في الحياة. فهذا ما يقدمه المنطق المادي القائم على المشاهدة والتجربة وهذا منطلقه ومنتهاه. إلا أن من أوتي سلامة البصيرة وتجاوزت نظرتة الشهود المادي الذي هيمن على المجتمع إلى الاستماتة في سبيل الحق - وإن عارضه السواد الأعظم- يرفض كل ذلك. ومن هنا ينتصر المنطق الإيماني على المادي.

فهذا الوجه الحقيقي الذي يفضل الندوي أن يفهمه هذه القصة، معتبرا أن رفض موالاة الكثرة الكاثرة على انحرافها في السلوك وتحريفها للمنهج، واختيار سبيل الحق الموحش من الكثرة والفقير من الغنى والضعيف من القوة الفاقد للأسباب والنصرة أهم ما يحققه الوجود الإنساني وأولى القربات لدين الله. وهذا هو القلب الذي يؤثر الندوي أن يصب فيه تأملاته في هذه القصة ومعانيها.

أما الأسباب الحقيقية التي جلبت النصر الإلهية والتأييد الرباني التي جعلت من طرداء الأمس أبطال اليوم، هي توفر صفتي انتصار الإيمان والفتوة على المادة.

وإن كان الندوي قد ذكر زيادة على هذا فضل الله عليهم ومحالفة السنن الكونية لهم من النوم الطويل وفعل الشمس من النور والدفء، فإن ذلك مما قد لا يتم حدوثه كنتائج وثمره في كل عصر ومصر وفي أحداث مشابهة، كما لا يجب تفسير نجاح أو فشل كل ثائر مؤمن - من أفراد أو جماعات- على وضع فاسد ومجتمع منحرف وحكومة باغية جائرة مستبدة مضطهدة بثمره مادية مشاهدة فإن ذلك من قبيل النظرة المادية التي قد تتحقق وقد لا تتحقق، فكم في هلاك ثوار مؤمنين حياة أمة بأكملها، وعزة لها ونهضة بعد عشرة مهلكة وبقاء بعد فناء. وكذا إن كان قد حفظ لنا القرآن الكريم ثمرة الفتوة والإيمان الشائرة على الظلم والاستبداد وعلى الفكر المادي فإن ذلك قد لا يتأتى من طريق

التاريخ الذي أغفل تسليط الضوء على العديد من بطولات المصلحين، وحجب إيفاءهم نظرة الإجلال والإكبار، وتقييم مواقفهم بميزان القيم والأخلاق والمبادئ مع عدم إغفال سياق الوضع والبيئة التي عايشوها وعانوا مآسيها<sup>(31)</sup>.

**ثالثا: قصة صاحب الجنتين تجليات الصراع بين التفكير المادي والتفكير الإيماني**

تتضمن تفاصيل قصة صاحب الجنتين وصاحب الإيمان والبصيرة، أن رجلا حالفته الدنيا وبسطت له من زينتها فكانت له جنتان من شجر الأعناب يحفها النخل ويتخللهما نهر، وكانت تؤتي أكلها من غير نقصان.

ولا ينصب جوهر القصة فيمن أوتي هذا الفضل الكبير من زينة الدنيا، بل يتجلى الأمر في تأثير هذا العطاء المادي في النفوس، ففسد فطرتها وتنسى ضعفها وحقيقتها وتتنكر لبذور الفناء التي تحملها في كنهها، وتغفل عن خالقها وحاجتها إليه في حولها وقوتها، وفي فقرها وغناها.

أما تأملات الندوي حول هذه القصة، فقد اعتبرها أكثر القصص وقوعا في الحياة اليومية من سابقتها - قصة أصحاب الكهف - فإذا كانت الأولى تقع في عقود من الزمن، فإن هذه القصة تتمثل في كل مكان وحين، وكثيرا - إن لم يكن في النفس إيمانا عاصما- ما تنثور الطبيعة المادية في أصحاب الحكومات والولايات، وأصحاب رؤوس الأموال والعقارات، وأصحاب الزعامة والوزارات، وأصحاب الصناعات والاختراعات..، فيغفل الإنسان بهذا التأثير المادي عن حقيقة وجوده، وعن آخرته وربّه، ويجهل كل قوة إلهية متصرفة في هذا الكون التي تعطي وتمنع متى شاءت وكيف شاءت، فينسب كل ما أوتي من أسباب مادية إلى جهده وعلمه، فيتسرب بهذا الريب في الساعة وكل أخبارها، ليجدد في الأخير البعث ويتوهم خلوده وذلك ما تمثل في تفاصيل القصة وتجلى على لسان صاحبها ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (35) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُئِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ (الكهف: 35-36)<sup>(32)</sup>.

**أ- التفكير الإيماني حاجة مصيرية في حياة الأمة الإسلامية:** بعد ذكر انحراف النفس بسبب هيمنة الفكر المادي على كل جوانبها، يقبل الندوي على الحديث حول الحقيقة الإيمانية التي تقتضي الحضور الدائم لذكر صفات الله

وأفعاله وحكمة تصرفاته في الوجود، وقد تمثلت على لسان صاحب البصيرة المعارض للتفكير المادي المحض، فكانت أول حقيقة يتضمنها التفكير الإيماني الكبح من حدة التأثير المادي، والتذكير بأصل النفس وحقيقتها وبدايتها. ويرى الندوي أنها أول الحقائق التي تتناساها النفس، ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ (الكهف: 37).

**ب- تفويض المشيئة والقوة إلى الله جوهر السورة ومفتاح القصة:** أما النقطة الثانية التي يقررها التفكير الإيماني هي إظهار الافتقار إلى الله، وتفويض كل الأمر والقوة وكامل الحول والقوة إليه سبحانه، وأن كل ما تملكه إنما هو من إتيان صنعه وبديع خلقه ومن مشيئته ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ (الكهف: 39).

واللفتة التي نبهنا عليها صاحب الإيمان الواعظ، والتي أكدها الندوي أن من أكبر الأخطاء أن يؤسس الإنسان مستقبله وينصب سقفه على أسباب هي عرضة للتحوّل والزوال، ويعتقد فيها التأثير والتصرف وضمن السعادة.

فكان مصير الأسباب التي تمثلت في الجنّتين، الزوال وتحولها نعمائها إلى حسرة في نفس صاحبها لخسارته أسبابه المادية وانفلاته من حصن العبودية لمولاه، ويأتي التذكير منه سبحانه بسرعة زوال الأسباب المادية التي ينسب إليها الإنسان النفع ويعلق عليها أسباب السعادة ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ (الكهف: 42-43).

وأخيرا يخلص الندوي بعد كل هذا أن الإيمان بالآخرة لا يزال من أهم عوامل القوة والإقدام ومن أسباب التمرد على قوى الشر والكفاح في سبيل الحق، وكان الحرص على الآخرة والشوق لها من أهم أسباب النصر والفتح.

#### رابعاً: قصة موسى والخضر بين علم الظاهر والباطن

تعد قصة سيدنا موسى عليه السلام من أكثر القصص تكراراً في القرآن الكريم، وتؤدي في موضع تتكرر فيه معنى يتسق مع الموضوع العام لتلك السورة.

ولم تخرج هي الأخرى عن ميدان "الصراع بين الإيمان والمادية"، فقد كانت كما يرى الندوي أنها «تحديا صارخا للعقل المادي الضيق الذي ينظر إلى الأسباب والحوادث كقوانين أبدية جامدة طبيعية لا سلطان عليها لأحد، وقوى قاهرة تحكم ولا يحكم عليها..»<sup>(33)</sup>.

كما يعتبر الندوي أيضا أن حياة موسى كلها كانت تحدّ لفلسفة الأسباب ومنطق الأشياء ابتداء من ولادته التي تنبئ عن «حاضر شقي ومستقبل مظلّم؛ قلة عدد، وفقر وسائل، وذلة نفوس، عدو قاهر، وسخرة ظالمة، لا قوة تدافع ولا دولة تحمي»<sup>(34)</sup>.

إلا أن الموضوع الذي ورد من سورة الكهف، فينحو به الندوي منحى آخر وإن كان في مضمونه لا يخرج بالجملة عن الموضوع العام للسورة. مضمون القصة أن رجلا من بني إسرائيل سأل موسى عليه السلام: هل تعلم أحدا أعلم منك؟ فأجاب بـ: "لا"، فأوحى الله إليه أنه عبدنا الخضر فشدّ الرحال إليه<sup>(35)</sup>.

أما القضية التي يفضلها الندوي أن تكون الكلية العامة لهذه القصة هي بيان قصور العلم البشري عن ارتقائه لمنزلة الكمال، والإحاطة ببواطن الأمور وأسرار الأحداث، وهذا ما أبانت عليه تفاصيل القصة؛ فقد قابل موسى تصرفات الخضر باستفسارات تنهل من منطق المشاهدة كما بنى أحكامه على المتداول المعقول وتفسير الأمور والوقائع بمقدمات ظاهرة.

إن العبرة التي تقتبس من هذه القصة تتعلق بمدى قصور العلم البشري على الإحاطة ببواطن الأمور وخبائها، كما ترسم القصة بعدا تربويا في حياة المسلم، فليس كل ما يحدث من خير أو شر هو على الحقيقة الظاهرة التي تتراءى للعيون والتي يفصل فيها التفسير الظاهري.

في حين يختتم الندوي تفاصيل القصة بمغزى ارتأى أنه يتمثل في التحدي للتفكير المادي، فهو درس للإنسان وبيان له بأن اعتماد الظواهر ليس سبيلا دائما لتفسير الحقائق وإدراكها. فكثيرا ما يتضح اشتباه الإنسان في التفسير حينما تأتي الحقيقة من طريق التأويل<sup>(36)</sup>. وعلى هذا لكي يصل الإنسان إلى حقائق الأمور، عليه أن لا يقطع بأن الحقائق والحكمة من وقائع الأمور إنما هو

أهمية توظيف الدراسات القرآنية في مواجهة الفكر المادي

ما يراه ويعتقده، بل للغيب أسرار ه لا يستطيع الإحاطة به علما وفهما. وليس المطلوب هنا من الإنسان السعي وراء إدراك كل الحكم البالغة من وراء الأمور والأحداث ومعرفتها، وإنما المراد منه التسليم والرضا للإرادة الإلهية.

**خامسا: قصة ذي القرنين النموذج الأمثل للجمع بين الأسباب المادية والإيمان بالله**

أ- **ذو القرنين بين التاريخ والقرآن:** يأتي الندوي على القصة الرابعة والأخيرة مبتدئا بشيء من الحديث عن شخصية ذي القرنين من الجانب التاريخي والاختلاف فيه، ليخلص بعد ذلك إلى اختيار الرأي؛ بأن ذا القرنين ليس بالإسكندر المقدوني استنادا إلى التباين الواقع بين صورة ذي القرنين في القرآن وصفاته، وبين الإسكندر المقدوني في طيات التاريخ.

يستند الندوي إلى رأي سيد قطب في هذا المقام: «إن النص لا يذكر شيئا عن شخصية ذي القرنين، ولا عن زمانه أو مكانه، وهذه هي السمات المطردة في قصص القرآن، ، فالتسجيل التاريخي ليس هو المقصود، إنما المقصود هو العبرة المستفادة من القصة، والعبرة تتحقق بدون حاجة إلى تحديد الزمان والمكان في أغلب الأحيان..، فالإسكندر الإغريقي كان وثنيا. وهذا الذي يتحدث عنه القرآن مؤمن بالله موحد معتقد بالبعث والآخرة»<sup>(37)</sup>.

وبناء على هذا لم يركز الندوي على أهمية التفاصيل التاريخية بالغة أكثر مما ركز على القصة في القرآن الكريم ذاته.

ب- **ذو القرنين رمز للحكم الصالح:** نصّ القرآن الكريم أن الله سبحانه أتى ذا القرنين من كل الأسباب المادية والقوة والعلم، وسخر له كل ما يلزم من الأسباب المادية المتاحة لإنقاذ الإنسانية من الظلم والفساد، أخذا بيده إلى بر الأمان، تحقيقا للقسط في الأرض والعدل بين بني البشر.

فكانت سيرة ذي القرنين نموذج الإنسان القوي العليم الذي يسخر القوى الكونية والمادية، ويوسع فتوحه ومغامراته، الإنسان المؤمن بربه الخاضع له، المؤمن بالآخرة الساعي لها، المقرّ بضعفه، الرحيم بالإنسانية وبالأمم الضعيفة، الناصر للحق<sup>(38)</sup>. وهي صورة مثالية لملوك الأمة الإسلامية، ومعيار لتقييم أعمالهم وتصرفاتهم في ظلها؛ فرغم التمكين لذي القرنين في الأرض، وتيسير

الأسباب؛ وامتلاك زمام الأمور لم يتجبر ولم يتكبر، ولم يطغ ولم يبطر، ولم يتخذ من الفتوح وسيلة للغنم المادي، واستغلال الأفراد والجماعات والأوطان، ولم يعامل أهل البلاد المفتوحة معاملة الرقيق، ولم يسخر أهلها ومقدراتها في تلبية أغراضه وأطماعه.، إنما نشر العدل في كل مكان يحل به، مساعدا للمستضعفين دارئا للعدوان عنهم دون طلب جزاء أو شكور؛ مستخدما القوة التي يسرها الله في التعمير والإصلاح والحماية، محقا للحق، مقرا برجوع كل خير يحققه الله على يديه إلى رحمة الله وفضله، متذكرا - وهو إبان عفوانه - قدرة الله وجبروته، وأنه راجع إلى الله<sup>(39)</sup>.

قدمت قصة ذو القرنين صورة للحاكم الصالح الذي يسخر الأسباب المادية في إقامة العدل ونصرة المستضعفين وخدمة الإنسانية إمتثالا للغاية السامية التي أنزل لها الكتاب وأرسل من أجلها الرسل ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (الحديد: 25).

**المحور الرابع: مشكلة الفكر المادي في الحياة الإسلامية، أسبابها ومظاهرها وحلولها**

تحدث الندوي مرارا وتكرارا على خطر الفكر المادي على الحياة الإسلامية، مذكرا بأسبابه ومظاهره ووصفا للطلول التي ينبغي اتخاذها لاتقاء المآلات الناجمة عن هيمنة الفكر المادي على الفكر والسلوك.

ولم يتقيد الندوي بالحديث عن أزمة الفكر المادي وأثرها على الحياة الإسلامية فحسب، بل تجاوزها إلى الحديث عن مصدره الذي أصبح نزعة تتصف بها الحضارة الغربية. ويمكننا إجمال نظرتة في النقاط التالية:

**أولا: معاني القرآن من التدبر إلى التنزيل الواقعي**

يُعد تنزيل معاني القرآن على الواقع المعيش ثمرة التأمل والتدبر واستلهام العبر. فعملية توظيف القرآن بهذا التنزيل أهم مرحلة يمكننا من خلالها إثبات الإعجاز القرآني الحقيقي في حل مشاكل الأمة الإسلامية والمعيقات التي تعترضها، ونصب المقومات التي ترتقي بها، وترتقي إلى منزلة الأمة التي يقدمها القرآن كنموذج مثالي منقذ للإنسانية، كما نحقق بهذه المرحلة أيضا أحقية صلاحية القرآن في مسايرة الأزمان وتطورات الحياة. وما الحاضر الغربي إلا

نموذجاً للفناء في الفكر المادي الذي أثبت انحطاطه وضلاله، وقد أكد الندوي ذلك في العديد من محطاته نذكر منها:

أ- صلة الدجال بالحضارة الغربية: ينتقل الندوي بعد التأكيد على موضوع السورة العام، إلى ربط الصلة الموجودة بين "الدجال" و"الحضارة الغربية"، إذ أدرج شخصية الدجال ضمن المعنى اللغوي لمادة "د ج ل" والذي ينحصر في التغطية والتمويه والكذب<sup>(40)</sup>، وقد حملت هذه الكلمة "الدجال" جملة معاني الفساد والكفر والإلحاد، وهي القطب الرئيس الذي تدور حوله شخصية الدجال، ودعواته، وأعماله، وتصرفاته<sup>(41)</sup>.

أما الصلة المشتركة بين شخصية الدجال والحضارة الغربية المادية فهي التدجيل في كل شيء عن طريق المسميات والشعارات وتمويه الحقائق، وادعاء الحريات والحقوق..، وقد كان من أكبر أسباب هذه الروح الدجلية تغييب الجانب الروحي وتكذيب الحياة الآخرة، وهيمنة المادة والشغف بكل ما يعود على الإنسان باللذة البدنية والمنفعة العاجلة، والغلبة الظاهرة، وهي النقاط الرئيسة التي دندنت حولها سورة الكهف في قصصها وعبرها<sup>(42)</sup>.

أما عن ورود ذكر المسيحية واليهودية فيرى الندوي للسورة اتصالاً وثيقاً بهما؛ إذ تعرضت لذكر عقيدة المسيحية في مطلعها من قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (1) قَيِّمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (2) مَا كُنْتُمْ فِيهِ أَبَدًا (3) وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (4) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبِرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ (الكهف: 1-5).

لا ينكر من وجود تباين بين العقيدتين اليهودية والمسيحية، إلا أننا نجد الندوي قد نبه إلى اجتماعهما تحت لواء الحضارة الغربية في هذا العصر، واتفقهما على اتخاذ الإسلام العدو الوحيد لهما، لذا فقد اعتبر أن الحضارة الغربية الآن مركبة من ثلاثة عناصر: "مسيحية محرفة"، و"يهودية ثائرة"، و"عقلية يونانية مادية"<sup>(43)</sup>.

وقد حملت هذه العناصر الكثير من الصفات التي تشكل تهديداً لمصير الإنسانية، وأبرزها غياب الحياة الآخرة في الشعور الإنساني، وغياب تأثيرها

في النفس والسلوك، حب الاستعلاء وإنكار حق المساواة بين بني البشر، السعي إلى امتلاك أسباب القوة، والثورة والتمرد على القيم والأخلاق. أما السمة الثانية التي تلي **التدجيل** فهي الشغف الزائد بالمادة ورفاهية الحياة والحرص عليها وتزيينها والمبالغة فيها، ونفي كل ما وراء المادة من مثل وقيم، وهي النقطة التي تلتقي عليها اليهودية مع المسيحية رغم ما بينهما من عداوة وتناقض<sup>(44)</sup>. وقد أسهمت التوراة المحرفة في ترسيخ هذه السمة من حيث تجردها من ذكر عالم الآخرة، والحث على الاستعداد لها، وإثارة الحنين والأشواق إلى نعمائها، والإشارة إلى قصر الحياة الدنيا وفنائها، ودم حب العلو، والإفساد في الأرض، لذا كان تاريخ اليهود تاريخ التنافس على المادة، والنهامة للثروة، والكفاح للسيادة السلالية، والكبرياء القومي، وذلك ما صدقته كتبهم الدينية المقدسة، وما صدر في أدبهم وشعرهم، وقصصهم وملاحمهم، وتنبؤاتهم وكهاناتهم، ومن بطولاتهم ومغامراتهم، وحروب وثورات، وما نتج عنهم من فلسفات وأفكار، وإن وجد شيء من حياة الآخرة وشيء من التواضع والرحمة بالإنسانية فعلى وجه الندرة النادرة<sup>(45)</sup>.

ولا يقف الندوي عند توافق اليهودية والمسيحية؛ بل يتعداه إلى اعتبار أن اليهود - مؤخرًا - هم الذين يملكون قيادة الحضارة الغربية وتوجيهها في صالحهم، وقد أثروا في الأدب والتربية، والسياسة والفلسفة، والتجارة، والصحافة، ووسائل التوعية والإعلام، حتى أصبحوا العنصر الفعال الرئيس في قيادة الحضارة الغربية التي ظهرت في بيئة مسيحية، وفي شعوب آمنت بالمسيح، واحتضنت اسمه منذ أمد طويل..، ويؤكد الندوي على أن «المتعمق في الحوادث الأخيرة، والمطلع على مدى نفوذ اليهودية العالمية في المجتمع الغربي، أن هذه الحضارة وما تحوي من علم وفن، ستبلغ نهايتها السلبية، وتصل إلى ذروتها في قوة التدمير، والهدم والإفساد، والتلبيس والتدجيل، على أيدي اليهود الذين مكّن لهم الغرب المسيحي -بغفلة منه وجهد بمراميمهم البعيدة وطبيعتهم الحاقدة- كل تمكين، وأتاح لهم كل فرصة لم يكونوا يحلمون بها قبل قرون، وكانت في ذلك أكبر محنة للإنسانية وأكبر خطر على العالم، فضلًا عن العرب، فضلًا عن المنطقة المحدودة التي يجري فيها هذا الصراع الحاسم»<sup>(46)</sup>.



وبناء على هذا التعرّيج لما تتضمنه الحضارة الغربية من تمازج العقيدتين ووحدة الهدف - اعتبار الإسلام أكبر عدو في تحقيق أغراضهما - الذي أشار إليه الندوي فأصبح مضمون الآية يشمل كلتا العقيدتين اليهودية والمسيحية، كما أن تتالي الآية والمناسبة العجيبة بين مضامينها ومعانيها أوضحت الغاية التي اجتمعت عليها اليهودية والمسيحية وهي عبادة المادة واستعباد الشعوب عن طريق امتلاك زمامها والهيمنة على مصدر يكون سببا في زيادتها، فنجد بعد الإنكار على عقيدة الشرك من الإبنية والولدية التي تبنتها المسيحية ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (4) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ (الكهف: 4-5)، جاء التنويه عن سرعة فناء الأساس المادي الذي تركز عليه الحضارة الغربية ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (7) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ (الكهف: 7-8).

وحتى لا ينشئت الحديث ويتفرق بنا بين شخصية الدجال والحضارة الغربية فإن الندوي بعد اكتشاف الخاصية المشتركة والصلة الرابطة بينهما، يعتبر أن الدجال إنما يكون ظهوره في المسيحيين الذين أصبحوا من أكبر المرابين للمادية ومن دعائها والمشرفين عليها، وفي اليهود الذين تولوا قيادتها وبلغت على أيدهم ذروتها الأخيرة.

**ب- الغلو والتطرف سمة الحضارة الغربية:** انطلقا من قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (الكهف: 38)، يعتبر الندوي أن الإسراف والإجفاف، والغلو والتطرف أصبح سمة للحضارة الغربية، وشعارا تعرف به، إسراف في الإنتاج وفي التلهي والتسلية، وإسراف في النظريات السياسية، والاقتصادية، والغلو في الحريات، والدكتاتورية، والليبرالية والشيوعية، أو تقديس للنظم والقوانين البشرية. وترى العدول عن هذا كله جرم في حق المدنية، ورمز للوحشية والرجعية<sup>(47)</sup>.

**ج- وثنية المادة في الحضارة الغربية والثورة على الأديان والشرائع:** لأسباب طبيعية وتاريخية وعلمية أصبحت المادية «شعار الحضارة الغربية والحياة الغربية منذ عهد عريق في التاريخ، ولم تزدها النشأة الجديدة والنهضة

العلمية والسياسية في أوروبا إلا حدّة وقوّة..، وقد بلغ النظر المادي والفكر المادي في أوروبا درجة الاستغراق فيه والفناء ونسيان ما سوى القيم المادية، وقد جعل كارل ماركس مؤسس الفلسفة الشيوعية النظام الاقتصادي روح الاجتماع وأن الدين والحضارة وفلسفة الحياة كلها عكس لهذا النظام الاقتصادي..، وبذلك يكون قد جحد جميع نواحي البشرية غير الناحية الاقتصادية ولم يعر غيرها شيئاً من العناية، ولم يقدّر للدين والأخلاق والروح والقلب وحتى العقل وزناً وقيمة، ولم يعترف أن أحداً منهما كان عاملاً من عوامل التاريخ، وأن جميع الحروب والثورات في التاريخ لم يكن إلا ثأراً لبطن من بطن، وجهادا في سبيل تنظيم جديد للنظام الاقتصادي وطرق الإنتاج الصناعي..»<sup>(48)</sup>.

فاتسمت الحضارة الغربية بالجمع بين القوى وتسخير الأسباب، والاستيلاء على الكون، وبين الكفر والمادية، ومحاربة الأديان والأخلاق، والثورة على فاطر الكون وشرائعه.

#### ثانياً: أسباب انتشار الفكر المادي وهيمنته على الحياة الإسلامية

يرجع الندوي أسباب تغلغل الفكر المادي في العالم الإسلامي إلى جملة من العوامل، يُذكر منها<sup>(49)</sup>:

1- حركة التغريب التي كان لها أكبر إسهام في انتشار النزعة المادية في الحياة الإسلامية، فقد كان موقف أصحابها من الحضارة الغربية موقف الاستسلام والخضوع الكامل، موقف المقلد، المستلب المتحمس، والتلميذ البار الصغير الذي لم يبلغ سن التمييز، معتقدين بضرورة ذوبان العالم الإسلامي أو جزء منه في هذه الحضارة المادية الآلية ذات الطبيعة الخاصة بحذاقيرها، وقبولها بمبادئها الأساسية، ومناهجها الفكرية، وفلسفتها المادية ونظمها الاقتصادية والسياسية التي نشأت واختمرت في بيئة بعيدة عن بيئتهم، تحت ضغط وتوجيه عوامل وحوادث خاصة. فنجد هؤلاء المستغربين لاهئين وراء تطبيقها كما هي برمتها في بلدانهم الإسلامية، متحمسين في سبيل ذلك كل صعوبة وعنت<sup>(50)</sup>. متجهين - بكل قواهم - ببلادهم الإسلامية نحو نمط الحياة الغربية.

2- ضعف سلطان الدعوة إلى الله، والربانية وتزكية النفوس، وندرة الدعوة إلى الله والغفلة عن تجديد الصلة بالله وإصلاح الباطن.  
3- قوة تأثير الحضارة الغربية لنفوذها أو للقرب من مركزها أو بفعل عوامل أخرى..، فأصبحت الشعوب فريسة المادية، والأمراض الاجتماعية والخلفية. والطبقة المثقفة فريسة الحرص على الجاه والمنصب والأمراض الباطنية من حسد وشح ورياء وكبر وأنانية وحب الظهور، ونفاق ومداهنة، وخضوع للمادة والقوة.

4- ضعف سلطان العلماء، مع اهتمامهم الزائد بالمظاهر وخوفهم الزائد من الفقر وسخط الخاصة والعامة، واعتيادهم المفرط على الحياة الناعمة.  
وقد أدت هذه الأسباب وغيرها إلى الوقوع في أزمة عالمية إنسانية؛ أزمة قيم وإيمان وحرية وعدالة، فُقدت فيها القدوة الصالحة على مستوى الشعوب والأمم حتى أصبحت قطعانا من الغنم لا راعي لها، وهو الفراغ الموجود والحلقة المفقودة على مستوى العالم الإسلامي بأكمله.

#### ثالثاً: مظاهر الفكر المادي في الحياة الإسلامية

من مظاهر الفكر المادي ما تلبّست به النفوس من سريان الشك وسوء الظن في الأوساط الدينية والبيوت العريقة في الدين والعلم بتأثير التعاليم الإفرنجية وضعف الثقة بالله وبصفاته ووعوده. كما سبّب الخوف من المستقبل الابتعاد عن التدين والزهد فيه وفي تعلم علوم الدين، والانصراف فقط إلى تعلم العلوم المعاشية واللغات الإفرنجية دون غيرها<sup>(51)</sup>.

ومن أخطر عواقب طغيان المادة على حساب الروح أن يفقد المسلم الحس الديني<sup>(52)</sup>، فيصبح كما يقول الندوي: «جاحدا للغيب ومكابرا فيما هو وراء الطبيعة، ومعاندا في المعاني الدينية، وقاسيا على الرقائق والقوارع التي تهز النفوس، وترفق القلوب، وتذرف العيون»<sup>(53)</sup>.

ومن مظاهر هذا التحول الذي طرأ على شخصية المسلم، أن غابت عن اهتماماته أسئلة غاية الوجود ومصيره وحقائق الآخرة، تلك الخواطر التي فقدت سلطانها على القلوب والأفكار..، وأصبحت هذه الاستفسارات لا تحيك في صدر الإنسان، ولا تشغله كما كانت تشغل آباءه، وتحيك في صدورهم<sup>(54)</sup>.

ومن مظاهر هذا التحول أن استبدلت الأسئلة الجوهرية المصيرية بأسئلة مادية أهم في أعين أبناء القرن الحالي، إذ صرفوا النظر عن الأولى في اهتماماتهم، فلم يشتغل بالهم بالحياة الآخرة، معتقدين أنهم غير معنيين بهذه المباحث التي تهم مصيرهم! ولا يزال يزداد هذا الضرب من الناس في كل أمة وبلاد بتأثير الحضارة الغربية<sup>(55)</sup>.

قد أدى هذا الوضع إلى اختلال توازن العلاقة بين الروح والمادة مما شكّل أكبر معيقات أمام الدعوة إلى الله، وأصبحت النظرة المادية طاغية على كل التصوّرات والسلوكات، ما أنتج هو الآخر مشاكل اجتماعية ونفسية وخلقية. وأبسط ما خلفه هذا الوضع تراجع فاعلية الإيمان في الحياة<sup>(56)</sup>، وأصبحت المادة هي محرك العلاقات الاجتماعية التي تبنى عليها جميع التعاملات.

#### رابعاً: حل مشكلة الفكر المادي في رأي الندوي

يرى الندوي أن الإيمان بالله وحضور الآخرة في الحياة الإسلامية وهيمتها من غير رهبانية، ومن غير تعطيل للأسباب المادية هو الحل لأزمة الفكر المادي وما ينجر عنه من مشاكل أخلاقية دينية واجتماعية واقتصادية.

وحتى لا يترك القرآن الإنسان حائراً في معرفة السبيل القويم في ذلك، فإنه يعرض دائماً النماذج الأمثل لتكون مقاييس يهتدي بها، وعليه قدم القرآن النموذج الوسط وأثنى عليه لجمعه بين الدنيا والآخرة مع إيثار جانب الآخرة ﴿وَكَتُبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدُّنَا إِلَيْكَ قَالَ عَدَايَ أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: 156).

وقد تجلّت هذه النظرة القرآنية على لسان النبوة حالاً ومقالاً فكان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة»<sup>(57)</sup>، ويقول: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً»<sup>(58)</sup>.

وحتى يستأنس الإنسان بنماذج واقعية مثلت التوجيه القرآني، فقد اعتبر الندوي أن حياة الرسول الأعظم وآل بيته والصفوة من أصحابه كانت نماذج عملية مثالية ناطقة.

وأخيرا فإن الندوي يعتبر أن الإيمان بالآخرة. وما يتطلبه من عمل وسلوك في الحياة يبقى المقوم الأساس الذي تنبني في ظله شبكة علاقات متينة متماسكة ومجتمع متين الروابط، ذلك لما يلعبه الإيمان من دور تضحل فيه الأنا وتنمو فيه الأخوة، تضر فيه المصالح الفردية من أجل قيام المصالح العامة للأمة، كما يسهم في تكوين مناخ تثمر في جوه القيم الأخلاقية والسلوكية.

لذا اعتبره الندوي الحل الأمثل لأزمة الفكر المادي المحض الذي يعمل على نقيض التفكير الإيماني، والذي يعمل على قتل روح الإبداع في البعد الخلقى، والذي يهبط البيئة المناسبة لنمو كل طفيليات الانحلال والانحراف والأخلاق الذميمة، مما يتسبب في تضعيف الروابط الاجتماعية وتلاشي العلاقات المتينة بين الأفراد والمجتمع، لأن المادة أصبحت الكفيل الوحيد الذي على أساسه تبنى العلاقات؛ تُشاد متى تحققت المصالح، وتهدم متى غابت المصالح.

#### الخاتمة

بعد البحث في مسألة معالجة أزمة الفكر المادي عند أبي الحسن الندوي من خلال توظيف الدراسات القرآنية التي كانت ثمرة تأملاته القرآنية في سورة الكهف، فقد خلص البحث إلى جملة من النتائج أبرزها:

- 1- إن الجدول القائم بين الغيب والطبيعة وبين الإيمان والمادة في العالم الإسلامي، والذي أفضى إلى تغييب الإيمان والانصهار في بوتقة النظرة المادية المحضة هو وليد بيئة الفكر الغربي. ولو وُظف القرآن الكريم فهما وتدبرا وتأملا ودراسة وتفعيلا، لتحقق التوازن العادل بين الغيب والطبيعة، وترشدت المادة وفق متطلبات الإيمان، ولما تآزمت أوضاع عالمنا الإسلامي.
- 2- للدراسات القرآنية أهمية كبيرة في معالجة أزمات الأمة الإسلامية، بل الإنسانية جمعاء؛ فهي كفيلة بالوقوف على الكليات التصورية للقرآن الكريم المشرفة على كل زمان ومكان وحال، والضامنة لديمومة واستمرارية الوظيفة القرآنية في هداية الناس. كما أن العلم والإيمان يدعوان إلى التمسك بالقرآن لما يتصف به من خصائص؛ بوصفه النور والبصائر والهدى والبيئة

والموعظة والشفاء والذكر المبارك والفرقان وغير ذلك. كما أن للدراسات القرآنية أهمية في معرفة السنن التاريخية والاستفادة من مضامينها، حتى تتصحح بها تصورات المتوهمين، وتتركى بها نفوس الأفراد، وتتوجه بها حركة تاريخ الأمم.

3- قدم لنا الندوي نظرة جديدة في تأملاته لسورة الكهف من خلال دراسته القرآنية المتضمنة في كتابه "الصراع بين الإيمان والمادية تأملات في سورة الكهف" تمثلت في كشف الموضوع العام لسورة الكهف، وهو الصراع بين الإيمان والمادية في النفس البشرية، وعلى أساسه استلهم معاني القصص الأربعة التي اختلفت في الأدوار والتفاصيل، واتحدت في المبادئ والأهداف.

4- لقد أسهم الندوي بهذه الدراسة في تنزيل معاني القرآن الكريم على واقع الأمة الإسلامية، ليخرج بعد ذلك ببديل قرآني عن مجموعة الجهود البشرية والرؤى والأفكار، وقد انصب هذا الحل القرآني في الإيمان بالآخرة ومستلزماتها؛ من تزكية النفوس وتهذيب الأخلاق وإحلال القيم، وما يتطلبه ذلك من فكر ووجدان وعمل وسلوك تجاه الفرد والجماعة والأمة، من خلال القرآن الكريم، والنموذج الأمثل والقُدوة المهداة محمد رسول الله ﷺ.

5- إن مواجهة الفكر المادي لا يعني خيار الرهبانية، والتخلي عن المادة مطلقاً، وعن إقامة أسبابها، بل المشكلة في انحصار متطلبات الحياة وطموحات أهلها في المادة دون غيرها، ونكران أو تغييب الإيمان، مما يسبب التيه والضلال والانحراف وزوال القيم وإفساد الحرث والنسل.

وأخيراً نؤكد على أهمية تدبر القرآن الكريم ومجال الدراسات القرآنية وتوظيفها في نهضة الأمة الإسلامية، ومدى تأثير ذلك في تقويم الفكر الإسلامي الذي يسعى في انطلاقة حضارية جديدة للأمة الإسلامية نحو الكمال الإنساني ولتحقيق الأمة القُدوة القائمة والشاهدة.

### قائمة المصادر والمراجع

- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
- بن نبي مالك، وجهة العالم، دار الفكر، بيروت، ترجمة: عبد الصبور شاهين، ط1، 1423هـ، 2002م.
- الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية، بيروت، (دط)، (دت).
- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط32، 1423هـ، 2003م.
- الطبري، أبو محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، 1422هـ، 2001م.
- الغزالي، محمد، المحاور الخمسة للقرآن الكريم، دار المعرفة، الجزائر، د ط، دت.
- فخر الدين عبد الحي الحسني، الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر)، دار ابن حزم، ط1، 1410هـ، 1999م.
- القرضاوي يوسف، أبو الحسن الندوي كما عرفته، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1422هـ، 2001م.
- مسلم، بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، تحقيق: فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الندوي أبو الحسن، الصراع بين الإيمان والمادية تأملات في سورة الكهف، دار القلم دمشق، ط1، 1418هـ، 1997م.
- الندوي، المدخل إلى الدراسات القرآنية، دار ابن كثير، بيروت، ط2، 1431هـ، 2010م.
- الندوي، المسلمون اتجاه الحضارة الغربية، دار المجمع للنشر والتوزيع، جدة، ط1، 1407هـ، 1987م.
- الندوي، النبوة والأنبياء في ضوء القرآن، دار القلم، دمشق، ط7، 1420هـ، 2000م.
- الندوي، ربانية لا رهبانية، دار القلم دمشق، ط1، 1421هـ، 2000م.
- الندوي، في مسيرة الحياة، دار القلم، دمشق، ط1، 1407هـ، 1987م.
- الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، مكتبة الإيمان، القاهرة، ط13، دت.
- الندوي، محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة، تحقيق: عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير، بيروت، ط1، 1422هـ، 2001م.
- الندوي، مقالات إسلامية في الفكر والدعوة، دار ابن كثير، بيروت، ط1، 1424هـ، 2004م.

- الندوي، مولانا جلال الدين الرومي، المختار الإسلامي للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1394هـ، 1974م.

### الهوامش:

- <sup>1</sup> - ينظر: الندوي، أبو الحسن، في مسيرة الحياة، دار القلم، دمشق، ط1، 1407هـ، 1987م، 28، 45/1. القرضاوي يوسف، أبو الحسن الندوي كما عرفته، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1422هـ، 2001م، ص3.
- <sup>2</sup> - ينظر: الندوي، في مسيرة الحياة، مصدر سابق، 69/1.
- <sup>3</sup> - ينظر ترجمته كاملة من مقدمة كتابه الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر) دار ابن حزم، ط1، 1410هـ، 1999م، 23/1-28.
- <sup>4</sup> - الندوي: في مسيرة الحياة، مصدر سابق، 74/1.
- <sup>5</sup> - القرضاوي، أبو الحسن الندوي كما عرفته، مرجع سابق، ص6.
- <sup>6</sup> - المرجع نفسه، ص7.
- <sup>7</sup> - الندوي، في مسيرة الحياة، مصدر سابق، 45/1.
- <sup>8</sup> - القرضاوي، الندوي كما عرفته، مرجع سابق، ص8.
- <sup>9</sup> - المصدر نفسه، ص8.
- <sup>10</sup> - الندوي، المدخل إلى الدراسات القرآنية، دار ابن كثير، بيروت، ط2، 1431هـ، 2010م، ص42.
- <sup>11</sup> - الندوي، محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة، تحقيق: عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير، بيروت، ط1، 1422هـ، 2001م، 143/3.
- <sup>12</sup> - ينظر الندوي، المدخل إلى الدراسات القرآنية، مصدر سابق، ص135، 136.
- <sup>13</sup> - يرى الندوي «أن سبيل كتب التاريخ غير سبيل القرآن، إنها تعنى بالحوادث السياسية، وتعنى بما يختص بالبلاد، وبالملوك، وبالوزراء، والحروب، والغزوات، أما ما كان في صالح الإنسانية، وما كان فيه درس للدارسين والمعتبرين؛ فلا، ولكن القرآن بالعكس من ذلك لا يعنى بهذه الحكايات، حكايات تقلبات الأمم، وتبديل الحكومات والفتوح، والغزوات، وهذا موضوع التاريخ، ولا بأس به، ولكن القرآن يعنى بأمراض البشرية، ويعنى بمواضع الضعف في الطبيعة الإنسانية، عني بما فيه عبرة وما فيه درس للإنسان في كل مكان وفي كل زمان»، الندوي، المصدر نفسه، 225/1.
- <sup>14</sup> - الندوي، المدخل إلى الدراسات القرآنية، مصدر سابق، ص26.
- <sup>15</sup> - ينظر: المصدر نفسه، ص24.
- <sup>16</sup> - المصدر نفسه، 225/1.
- <sup>17</sup> - الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 226/1.



- 18- الندوي، المدخل إلى الدراسات القرآنية، مصدر سابق، ص27.
- 19- المصدر نفسه، ص32.
- 20- ينظر: الندوي، الصراع بين الإيمان والمادية - تأملات في سورة الكهف-، دار القلم دمشق، ط1، 1418هـ، 1997م، ص5.
- 21- ومن بين هذه الأحاديث: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال». صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، رقم (809). «من قرأ سورة الكهف كما أنزلت، ثم خرج إلى الدجال لم يسلط عليه - أو: لم يكن له عليه سبيل». رواه الحاكم في المستدرک، ينظر: الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد، المستدرک على الصحيحين، كتاب فضائل القرآن، باب فضل سور، وآي متفرقة، رقم (2072)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، (دط)، (دت)، 752/1.
- 22- المصدر نفسه، ص8.
- 23- ينظر: الندوي، الصراع بين الإيمان والمادية، مصدر سابق، ص22-24.
- 24- المصدر نفسه، ص9.
- 25- المصدر نفسه، ص10.
- 26- ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط32، 1423هـ، 2003م، مج4، ج2275/15.
- 27- لتجنب الإطالة في ذكر رواية سبب النزول ينظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، 1422هـ، 2001م، 144/15، 143.
- 28- وقد استقى الندوي هذه الفكرة من أحمد عبد الرحيم - ولي الله الدهلوي- من كتابه "الفوز الكبير في أصول التفسير": « وعامة المفسرين يربطون كل آية من آيات المخاصمة، وآيات الأحكام بقصة، ويعتقدون أن تلك القصة كانت سبب نزولها، والمحقق أن الغاية الأساسية من نزول القرآن، هي تهذيب النفوس البشرية، والقضاء على العقائد الباطلة، والأعمال الفاسدة، فوجود العقائد الباطلة في المكلفين سبب مستقل لنزول آيات المخاصمة، ووجود الأعمال الفاسدة وانتشار المظالم فيما بينهم سبب كاف لنزول آيات الأحكام، وعدم انتباههم وازدجارهم بما جاء في القرآن من ذكر آلاء الله، وأيام الله، وما يقع عند الموت وبعده، علة حقيقية لنزول آيات التذكير. أما القصص الجزئية، والحكايات المعينة التي أتعب المفسرون نفوسهم في نقلها، وأطالوا النفس في ذكرها، والحديث عليها، فليس لها دخل كبير، ولا أهمية ذات بال، إلا في بعض الآيات، حيث وقع التعريض فيها لحادثة من الحوادث وجدت في زمنه ﷺ، أو قبل ذلك، ولا يزول ما يعرض للسامع من التشوق عند

سماع ذلك التعريض إلا ببسط هذه القصة» ينظر الندوي، الصراع بين الإيمان والمادية، مصدر سابق، ص43-45.

<sup>29</sup>- ينظر: المصدر نفسه، ص45.

<sup>30</sup>- يقول الندوي: «... بل إنه يقرر أن تعطل الصالحين وقعودهم عن الجهاد، وتوكلهم العجمي الذي لا يتفق مع تعاليم الإسلام، أفضى إلى سيادة الفساق والظالمين وحكومة السفهاء والجاهلين، الذين سفكوا دماء الأبرياء، وقتلوا العلماء والصلحاء، وجاروا في الحكم، وخاتوا في أموال الناس، وتسلبت في عهدهم الحمقى وتوارى الحكماء والعقلاء، ووسد الأمر إلى غير أهله». ينظر: الندوي، مولانا جلال الدين الرومي، المختار الإسلامي للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1394هـ، 1974م، ص47.

<sup>31</sup>- وقد كان للندوي رؤية نقدية لمنهج المؤرخين والمؤلفين دفاعا عن سلسلة رجال الفكر والدعوة والإصلاح واستمرارها دون انقطاع، وقد تجلّى هذا النقد فيما أحدثته كتب التاريخ الإسلامي من إيجاد ثغرات تشعر بغيباب دور رجال الإصلاح والتجديد، ما جعل كثير من الناس يعتقدون أن تاريخ الإصلاح والتجديد منقطع في تاريخ الإسلام، ولم يظهر على ساحة التاريخ إلا المندفعين مع التيار المستسلمين للفساد، وأقزما في العقل والتفكير والعلم والإنتاج، والمتمتعين بحماية البلاط وإلى السلطة التي تستند إلى القوة والمال. ينظر: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 57/1. و يؤكد الندوي على عاملين أساسيين يجب استحضارهما في الحديث عن إنجاز الرجال والمصلحين وهما عامل الزمان وعامل البيئة، فكل عصر مشاكله ومسائله، وملابساته وعوائقه، وهي التي تحدد نطاق العمل، وقد تفرض عليه منهجا دون آخر، وأسلوبا دون أسلوب..، وعليه فلا يجوز نقل رجلا من عصره ونحاكمه إلى مقاييس ومعايير عصر آخر، ونحكم عليه بالفشل والإخفاق، والضعف والعجز، ونحرمه كل مآثرة. ينظر: المصدر نفسه، 58/1، 59.

وهذا ما أشار إليه محمد الغزالي كذلك في نقده للمؤرخين بقوله: «وما زلت ألاحظ حتى يومنا هذا، خطايا تدفن كان على التاريخ أن ينشرها، بيد أن رهبة السلطة أجمت الأفواه..!!»، ومازلت ألاحظ روائع للإيمان الحي، والدعاة الأيقاظ، والمجاهدين الصابرين المحتسبين، يهال عليها التراب كأن غمط الرجال مطلوب..!، وفي أيام الهزائم التي عرضت للرسالة الإسلامية كانت هناك مقاومات بطولية أحببت مؤامرات كبيرة وأنهضت الدين من كيوته أو من تفريط حملته، ومع ذلك فإن أبطال المقاومة من العلماء ومن الجنود، ذهبوا إلى الله لا يعرفهم إلا القليل». محمد الغزالي، المحاور الخمسة للقرآن الكريم، دار المعرفة، الجزائر، د ط، د ت، ص12.

<sup>32</sup>- الندوي، الصراع بين الإيمان والمادية، مصدر سابق، ص73، 74.

<sup>33</sup>- الندوي، النبوة والأنبياء في ضوء القرآن، دار القلم، دمشق، ط7، 1420هـ، 2000م، ص76.

<sup>34</sup>- المصدر نفسه، ص76.

<sup>35</sup>- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليه السلام، رقم (3400).

<sup>36</sup>- يرى الندوي أن التأويل في اصطلاح القرآن هو الحقيقة استنادا إلى أن انتهاء حقائق أعمال الخضر جاءت من سبيل التأويل ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (الكهف: 82).

<sup>37</sup>- سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، مج4، ج2289/16.

<sup>38</sup>- الندوي، الصراع بين الإيمان والمادية، مصدر سابق، ص110.

<sup>39</sup>- سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، مج4، ج2293/16.

<sup>40</sup>- جاء في لسان العرب دجل الشيء غطاه.. ودجلة: اسم نهر، من ذلك لأنها غطت الأرض بمائها حين فاضت.. وهو دجال: كذب، وهو من ذلك لأن الكذب تغطية.. والدجال: المموه الكذاب، وبه سمي الدجال. والدجال: هو المسيح الكذاب، وإنما دجله سحره وكذبه..، ينظر ابن منظور، لسان العرب مادة: دجل، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، 236/11، 237.

<sup>41</sup>- ينظر: الندوي، الصراع بين الإيمان والمادية، مصدر سابق، ص12.

<sup>42</sup>- ينظر: الندوي، الصراع بين الإيمان والمادية، مصدر سابق، ص14.

<sup>43</sup>- الندوي، المسلمون اتجاه الحضارة الغربية، دار المجمع للنشر والتوزيع، جدة، ط1، 1407هـ، 1987م، ص19.

<sup>44</sup>- ينظر: المصدر نفسه، ص17.

<sup>45</sup>- المصدر نفسه، ص18، 19.

<sup>46</sup>- الندوي، الصراع بين الإيمان والمادية، مصدر سابق، ص16، 17.

<sup>47</sup>- ينظر: الندوي، الصراع بين الإيمان والمادية، مصدر سابق، ص70.

<sup>48</sup>- ينظر: الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، مكتبة الإيمان، القاهرة، ط13، دت، ص167-169.

<sup>49</sup>- الندوي، ربانية لا رهبانية، دار القلم دمشق، ط1، 1421هـ، 2000م، ص23، 24.

<sup>50</sup>- ينظر: الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية،

المجمع الإسلامي، الهند، ط4، 1401هـ، 1981م، ص37.

<sup>51</sup>- ينظر: الندوي، ماذا خسر العالم، مصدر سابق، ص211.

- <sup>52</sup>- ويعتبر الندوي أن زوال الحاسة الدينية وانحصار تصوّر الإنسان في المرئيات والمحسوسات فقط من أكبر العقبات التي واجهتها دعوة الأنبياء، والدعاة الدينيين، فأصبحت النفوس والقلوب في حجب عن تعاليم النبوة ووحى الندوي، مقالات إسلامية في الفكر والدعوة، دار ابن كثير، بيروت، ط1، 1424هـ، 2004م، ص287-289.
- <sup>53</sup>- المصدر نفسه، 287/1.
- <sup>54</sup>- المصدر نفسه، 288/1.
- <sup>55</sup>- ينظر: المصدر نفسه، 288/1، 289.
- <sup>56</sup>- وليس هذا بمعنى أن المسلم قد تخلى ففقد الإيمان كله بل لا يزال مؤمنا مدينا بهذا الدين، إلا أن عقيدة المسلم فقدت قوتها فكما يقول مالك بن نبي «تجردت من فاعليتها، لأنها فقدت إشعاعها الاجتماعي فأصبحت جذبية فردية، وصار الإيمان إيمان فرد متحلل من صلاته بوسطه الاجتماعي». بن نبي مالك، وجهة العالم، دار الفكر، بيروت، ترجمة: عبد الصبور شاهين، ط1، 1423هـ، 2002م، ص54.
- <sup>57</sup>- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقائق، باب: لا عيش إلا عيش الآخرة، رقم (6414).
- <sup>58</sup>- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب في الكفاف والقناعة، رقم (1055).